عَظُم شـان الأمير على بن عمـر الهوارى الذى كرر إرسـال هدية حافلة للسلطان فى سَنة ٩٢٧هـ/١٥٢٠م وقدِّرت بستين ألف دينار[١]، وأقر السلطان سـليم حكم الصعيد للأمير على وأرسل إليه فى سَنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م قفطان حرير ومرسوم شريف بإقراره فى مركزه واستمراره فيه.

ومما جَعل لسيطرة العثمانيين على مصر أهمية تاريخية أن محمد المتوكل علـى الله، آخر ذرية الدولة العباسـية الذى حضر أجداده لمصر بعد سـقوط مدينـة بغداد مقـر خلافة بنى العباس فى قبضة هولاكو خان التترى سَـنة ٦٥٦ هـ/١٠٩١م، وكانت الخلافة بمصر اسمًا، وتنازل عن حقه فى الخلافة الإسـلامية[٢] إلى السلطان سليم العثمانى وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهى البيرق والسيف والبُرده، وسلَّمهُ أيضًا مفاتيح الحرمين الشريفين، ومن ذلك صار كل سلطان عثمانى خليفة اسمًا وفعلًا لرسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم.

ازدهار ولاية جرجا وتأثيرها على صعيد مصر

مما لا شك فيه أن إمارة الهوارة المتعاقبة على ولاية جرجا صارت تدين لها القبائل المسـتقرة بها بالولاء وتحتفظ معهم بعلاقات طيبة وترى أن الهوارة حافظوا علـى مكانتهم الاجتماعية وأقاموا علاقات وطيـدة مع أهالى المنطقة الواقعـة فى دائرة نفوذهم، وأصبحت ولايـة جرجا مطمح الكثير لأهميتها

(١) المرجع السابق لابن إياس بدائع الزهور، جـ٣، صـ ٢٨٤.

(٢) محمد فريد بك المحامى تحقيق د. إحسان حقى ،تاريخ الدولة العلية العثمانية، طبعة دار النفائس بيروت، صـ ١٩٤.

الاقتصاديـــة فى ذلك الوقت حيث صارت مركز التموين الأول للبلاد بالغلال وبخاصة القمح[١].

ولقد اعترفت الســلطات المملوكية بالإمــارة لهوارة بمنطقتهم ومع دخول العثمانيين مصر أبقى السلطان ســليمان على إمارة جرجا فى يد الهوارة[٢]، وكانت خلعة الولاية على إمارة جرجا تصل إلى الأمير الهوارى طبقًا لالتزام الهوارة بجمع المال والغلال المقررة للدولة، وظلت تلك الإمارة حتى سَنة ٩٨٣ هـ/١٥٧٦م، حينما صدر فرمان بإقصائهم عن إمارة جرجا لما رأته الدولة من تقصيرهم فى جمع الخراج وأســندت إمارة جرجــا إلى أحد البكوات المماليك وكان الأمير "سليمان جمبلاط" أول من ولى هذا الأمر من الأمراء المماليك[٣].

لكن الهوارة استطاعوا إعادة مكانتهم عن طريق علاقاتهم الطيبة مع الأهالى ومــع الإدارة، وعَمِلَ الملتزمين منهم على حماية الفلاحين فى مناطق الصعيد مــن هجمات القبائل العربية الأخرى وبخاصــة من قبيلة بن وافى المغربى، وشــاركت هوارة قوات عبدالرحمن بك فى مطاردتهم والحد من تصرفاتهم، ومــن المُنصف أنــك تجد فلاحى المناطق التى كانــت واقعة فى دائرة الهوارة قد تمتعــوا بالأمن والاطمئنــان وبلغت ذروتها فى عهد شــيخ العرب همام الــذى تغنى الفلاحون بعدله وإنصافه للمظلومين لما قدمه لهم من خدمات فى مجالات حفظ الأمن، وصيانة الترع والجسور، وازدهار الزراعات ونموها.

(١) المرجع السابق د.عبدالرحيم، الريف المصرى، صـ٣٤.
(٢) د. عبدالرحيم عبدالرحمن، المغاربة فى مصر فى العصر العثماني١٥١٧- ١٧٩٨ م، صـ٣٥.
(٣) المرجع الســابق / د.عبدالرحيم، المغاربة فى مصر، ص ٣٦- على باشــا مبارك جـ١٠ صـ ٥٣-٥٥،- والمرجع السابق عبدالرحمن الجبرتى عجائب الآثار، جـ ١ صـ ٣٢٣، ٣٤٤

مع تنامى نفوذ هوارة من أسيوط شمالاً وحتى بلاد النوبة جنوبًا وبجانب أعمال التمـرد والعصيان على المماليك كانت لهـوارة أيدى بيضاء فى أعمال البر والهبات والوقف الخيرى كما ظهر جليًا فى العديد من الوثائق الخاصة بذلك.

وقد أوقفت الهوارة بتدخل دولار بك الهمامى حاكم جرجا فى ذلك الوقت سَنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م، خراج أراضى بلغت ١٢٩٣ فدانًا بجهة أخميم لصالح المسجد النبوى الشريف[١] (حجة شرعية) وبلغت ألف أردب مقسمة.

وأوقف الشيخ همام سيبك ٢٤٢ ألف فدان من الأراضى الزراعية امتدت من سواقى موسى إلى منية أبى خصيب[٢]، وبعض الأوقاف كان للعلماء والمساجد وكان أبرزها الوقف الخيرى على مسجد السيد عبدالرحيم القنائى[٣] بغرض

(١) د. صلاح أحمد هريدى، دور الصعيد فى العصر العثمانى١٢١٣:٩٢٣ هـ /١٧٩٨:١٥١٧م صـ ٣٦٠.
(٢) المصدر السابق د. صلاح هريدى، صـ٣٦١، سجلات محكمة إسنا الشرعية محفظة رقم٣ حجة رقم ٣.
(٣) الشـيخ عبدالرحيم أحمد حجون، الترغى المولد، السـبتى الأصل ولد بها عام ٥٢١ هـ وامضى طفولته فى تحصيل العلم والقرآن الكريم وفى الثامنة عشرة من عمره انتقل إلى دمشق لينهل من تلك المدرسة، ثـم عـاد إلى ترغاى بالمغرب وبعد وفاة والدته توجه إلى بلاد الحجاز حاجًا فقضى تسـع سـنين بين مكة والمدينة، ثم التقى بالإمام مجد الدين القشيرى إمام قوص الذى أقنعه بالانتقال إلى قوص لتأدية رسالته وأقنعه أن من واجبه الإسلامى الإقامة بقوص أو قـنا ليرفع راية الإسلام ويُعلمَ الناسَ أصول دينهم فعاد مع إمام المسجد العمرى إلى قوص فمكث بها برهة قليلة، ثم انتقل إلى قـنا فأقام بها ومع تولى الأيوبيين فى مصر أصدر العزيز بالله بن صلاح الدين قرارًا بتعين الشـيخ عبدالرحيم شيخًا لقنا ومنها عُرف بالقنائى وأنجب تسعة عشرة والدا وبنتًا وعمل تاجراً للغلال لكسب عيشة والانفاق على طلابـه وكانت إقامته رحمةً لأهل قـنا حيث اغترفوا من بحـر علمه وله من الكرامات ما تطيب له النفـس وتأنس مجاورته الـروح وتخرج عليه جماعة من أعيان الصالحين وكان مالكى المذهب، وكان رحمـه الله يهتم بالعلم ويرى أن العلم دعوة سماوية ومتممة للعمل وتُوفى رحمه الله فى عام ٥٩٢ هـ ودُفن رضى الله عنه بالقرب من زاويته بالضريح الكائن الآن بجوار المسـجد المبارك بقـنا / مسـجد سيدى عبد الرحيم القنائى وله زوار كُـثـر.

التقرب إلى الله –عز وجل– ونيل الثواب، ولقد أوقف شيخ مشايخ هوارة أمير صعيد مصر وبرقة الأمير على سليمان محمد بن بكار همام سيبيك وقف لمسجد الشيخ عبدالرحيم القنائى كما جاء بوثيقة الوقف[1]، ملحق (٣)، بانه (اشهد على نفسه أنه أوقف لله تعالى ثلاثمائة وخمسين فدانا بقمولا ومائة وأربعين فدانًا بجزيرتها من أعمال قوص وخمسين فدانًا بفاو من أعمال دشنا وأربعين فدانًا ببهجورة وثمانين فدانًا بناحية الطويرات من أعمال البلاص واقف إحدى جنائنه الكائنة بمحروسة قنا وهى الكائنة على ترعة الشنهورية ومقدارها خمسة وثلاثين فدانًا بما عليها من النخيل وأشجار الثمار المختلفة والسواقى السبع وحدها الشرقى جسر ترعة الشنهورية والغربى طريق زراعى والبحرى أرض أبو السرور والقبلى الطريق السلطانى وبعضه وقف سيدى عبدالرحيم وجميع الأطيان المذكورة والموقوفة طين سواد عال العال بما عليهم من النخيل والسواقى على أن يصرف ريع جميع هذه الأطيان والجنينة على مسجد ومقام شيخ أولياء الصعيد على الإطلاق العارف بالله القطب العظيم الإمام فرع الدوحة الهاشمية ابن عم سيدنا ومولانا الواقف وهو القطب والبحر الزاخر سيدى عبدالرحيم ابن سيدى أحمد لحسينى الغمارى السبتى المغربى الجوانى الكائن ضريحة بمحروسة قنا ،..... وحكم بصحة ذلك أول محرم الحرام سنة ١١٣٦ ستة وثلاثون ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام وأزكى التحية).

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثيقة وقف (١) محكمة قنا، غرة محرم ١١٣٦ هـ.